

الحجاج عند طه عبد الرحمن الأسس والمنطلقات

The Concept of Accountability Between Michel Mayer and

Taha Abdel Rahman

جامعة وهران 2 محمد بن أحمد / الجزائر وحدة البحث: URSH	فلسفة	جلول قوراري عمارة *Gourari Amara Djelloul d.gourariamara@univ-chlef.dz
جامعة وهران 2 محمد بن أحمد / الجزائر	فلسفة	أ.د بوكردلة الزواوي pr. Boukralda Zouaoui zouaoui63@yahoo.fr
ORCID: /	DOI: 10.46315/1714-013-002-007	

الإرسال: 2024/02/29 القبول: 2024/04/21 النشر: 2024/04/16

ملخص:

أصبح من نافلة القول إن الحجاج صنيعة إنسانية خلقت معنا إذ يعد الحجاج وامتلاك الحجة أساسا وركيزة تبرر وجودنا الإنساني، فالتفاعل الذي يكون بيننا، إن تبادلًا للتأثير أو تناقلا للتغيير، يعتمد على المحاجة لا على البرهان لا تركازه على اللغة الطبيعية لا اللغة الصناعية، من هذا المنطلق أردنا أن تناول طرح المفكر طه عبد الرحمن مفهوم الحجاج كمفهوم ينبغي اعتماده كوسيلة وأسلوب كتابة، وكذا التداولية منهجا للبحث والكتابة والإبداع الفلسفي بتسليط الضوء على هذا المفهوم في الثقافة العربية الإسلامية عند طه عبد الرحمن كنموذج بعدما شاع هذا المفهوم وازدهرت دراسته مع بروز اللسانيات الحديثة، ونظرية الأفعال الكلامية في الفلسفة الغربية، وكذا المنعطف اللغوي الذي عرفته الفلسفة المعاصرة، ومنه أردنا في هذه المقالة أن نبرز الغرض من توظيف الحجاج وأساليبه عند طه عبد الرحمن كوسيلة لتحصيل هدف عزيز المبتغى والمرام ألا وهو القراءة الحجاجية التداولية للتراث، والكشف عن آليات الإبداع في تراث الأمة، وكيفية تشغيلها لتأسيس حدائنة عربية إسلامية. كلمات مفتاحية: الحجاج؛ الحداثة؛ التداولية؛ التراث؛ التواصل؛ التفاعل؛ التأثير.

Abstract:

It goes without saying that the process of questioning and asking questions is a human artifact that was created with us, as questioning and having an answer is a basic pillar that justifies the map of our human existence. The interaction between us, whether it is an exchange of influence or a transfer of change, depends on the process of questioning and answering as two main pillars of communication and interaction between us in a social environment and a cultural and human space. From this point of view, we wanted to discover new angles of view to approach an important and distinct concept in the intellectual life of man in general, namely the concept of the question and how it is present in our intellectual and cultural life by referring to two distinguished students of this concept, a Western thinker, Michel Mayer, and an Arab-Islamic thinker, Taha Abdel Rahman, each with his cultural drink and his emotional taste and his different cognitive approach to the same concept, namely the concept of the question.

Keywords: Question; The Answer; Accountability; Responsibility; Speech.

الحجاج عند طه عبد الرحمن الأسس والمنطلقات.

1- مقدمة:

سمعنا غير قليل وقرأنا غير قليل عن تخلفنا الفكري والحضاري، وكل حاول الإجابة عن سبب تخلفنا الفكري، هذا التخلف الذي يظهر جليا في العجز عن صناعة المفاهيم وإبداعها عجزا عزز الشعور بالتية الفكري الذي يعيشه العالم العربي والإسلامي، هذا التيه الذي بلغ أشده مع توارد المفاهيم التي تنتجها الحداثة الغربية التي لا تلبث أن تتكاثر محدثة إغراقا مفاهيميا، وعدم قدرة على القراءة والمواكبة لهذا التوارد السريع كل هذا أدى إلى كيل الاتهامات المجانية لبعضنا لبعض والتشكيك في قدرة الإنسان العربي المسلم الفكرية وحتى اللغوية واعتباره عاجزا فكريا ولغويا وفي مرتبة أدنى من أن يرتقي إلى رتبة الفكر والفلسفة في الحضارة الغربية الحديثة والمساهمة بالتالي في حضارة العصر العالمية، وكذا كيل الاتهامات للتراث العربي الإسلامي والمناداة بضرورة القطيعة معه كشرط للدخول في الحداثة واعتباره عائقا أمام الفكر والإبداع، هنا نقف متسائلين كيف نجابه هذه التحديات التي تفرض علينا جميعا؟ إما أن نكون داخل صيرورة الفكر وبالتالي داخل التاريخ، وإما خارج صيرورة الفكر، وبالتالي خارج التاريخ، إما أن نجيب عن أسئلة العصر من داخل فضائنا الثقافي والحضاري كهوية متميزة فنستحق بذلك الحياة وإما أن نلجأ إلى أجوبة جاهزة من خارج كياننا الحضاري فنستحق بذلك الاندثار والذوبان في معترك الثقافات والهويات الأخرى.

فحري بنا مجابهة ما يصلنا ويفد إلينا من مفاهيم غريبة بالحجة والدليل والفكر المبدع أي مجابهة ورد فكري بامتياز وليست مجابهة ورد مادي، هذا الرد الفكري حاول طه عبد الرحمن التأسيس له في العالم العربي والإسلامي بتثبيت بنيانه عن طريق تشغيل آلياته الفكرية وترسيخها كآليات فكرية منتجة لا تلبث تجدد نفسها وتسائر وضعها وزمانها فكيف يوظف طه عبد الرحمن آليات الفكر العربي الإسلامي الحجاجية في الإجابة عن أسئلة العصر ومواجهتها والتأسيس لحداثة إسلامية؟

2- مقارنة طه عبد الرحمن لمفهومه الحجاج:

1-1 دراسة في مصطلح الحجاج:

نجد في معاجم اللغة العربية أن الحجاج لغة كما يلي:

"يقال حاججته، أحاججه حجاجا حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة البرهان وقيل الحجة ما دافع به الخصم، وقال الزهري الحجة هي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محاجج، أي جدل والحديث فحج آدم موسى أي الأغلبية أي غلبه بالحجة" (ابن منظور، 1999، الصفحات 226-228).

نجد ابن منظور هنا يشير إلى معنى الغلبة كمعنى بارز، لمصطلح الحجاج وكذا معنى الدفاع عن رأي أو أطروحة أو فكرة دفاع الخصم أو الغير وكذا معنى الجدل والاعتراض بالسؤال والنقد والتقييم.

أما في مقاييس اللغة لابن فارس فإننا نجد مادة حجج لها أربعة معاني:

الأصل الأول: القصد وكل قصد حج... ثم اختصر بهذا الاسم القصد إلى بيت الله الحرام للنسك. الأصل الثاني: الحجة وهي السنة، ويمكن أن يجمع هذا الأصل إلى الأصل الأول وهو الحج إلى بيت الله الحرام لأن الحج إلى البيت لا يكون في السنة إلا مرة واحدة.

الأصل الثالث: الحجاج، وهو العظم المستدير حول العين أي البارز من العين أو الغالب وزعم أبو عمر أنه يقال للمكان المتكاهف من الصخرة حجاج.

الأصل الرابع: الحججة النكوص، يقال حملوا علينا ثم حجججوا، والمججج العاجز... ويقال أنا لا أحججج في كذا أي لا أشك" (ابن فارس، 1979، صفحة 229)

نجد ابن الفارس في الأصل الثاني يشير إلى معنى القصد؛ وهو التوجه إلى مكان ما أو شيء ما أو التوجه إلى الغير أو الآخر، وإن كان في الأصل هو التوجه إلى البيت الحرام، والحجج يكون موجه إلى الغير حسب الحاجة لقضاء حاجة معينة لا تزيد عن هذه الحاجة المبتغاة وإلا تحول الحجج هرا وتحول إلى لغة الخشب ومنه فالالاقتصاد في الطلب وعدم مجاوزة حد معين حسب الحاجة فيكون الحجج حسب الحاجة وهو نفس الأصل للكلمة وللجذر اللغوي الحجج الحاجة.

مما أوردنا سابقا يتبين لنا أن مفهوم الحجج في اللسان العربي يرتكز حول ركيزة أساسية ألا وهي دافع الحجج أو حافز الحجج وهو التفاعل الحواري والتنازع الفكري بالأدلة حول موضوع ما نتيجة الاختلاف في الرؤى وطرق الاستدلال وكذا نتيجة أن العقل البشري ينجح دائما إلى البحث عن الدليل والاستدلال على موضوع يهمه قبل أن يقتنع به أو يعتقده ويسلم به، استدلال ثم اعتقاد، ولا تعتقد ثم تستدل فتضل، هذه مسلمة تعمل بمثابة قانون يمشى عليه المستدل وينسج خطواته الفكرية على منواله.

قلنا بأن الحجج ينتج عن الاختلاف والمنازعة، والاختلاف هو بدوره محفز على التفاعل ولا يحدث التفاعل إلا بحجة "فكل حجة قائمة على نقطة خلاف ظاهرة، أو مضمرة، والحجة هي مركب من مادة وصورة، فهي مركب لغوي مادته اللغة الطبيعية بجميع مستوياتها، وهي مركب منطقي منظوم في الوقت نفسه وفق مقتضى المنطق المناسب، مما منح اللغة وظيفتها في ممارسة الحجج" (الشهري، 2015، صفحة 54).

إذا فالحجة مادتها اللغة الطبيعية وصورتها هي المنطق، وبالتالي فهذا ما يجعل من اللغة الطبيعية صالحة لممارسة الحجج (الشهري، 2015، صفحة 54)، فالحجج هو صفة كل دليل منضبط

الحجاج عند طه عبد الرحمن الأسس والمنطلقات.

بقوانين اللغة الطبيعية التي يدور في رحابها ويتأصل ويتوسل بألياتها (إدريس، 2012، صفحة 6)، ومنه يرى طه عبد الرحمن أنه لا يمكن أن تصح أي معرفة عقلية دون منطلق يضبطها ويقها من الشذوذ والخروج عن إطارها وتأطيرها (عبد الرحمن، 2011، صفحة 55).
و من بين السمات الأساسية للحجاج إمكانية النقض التي لا تتوفر في البرهان الصناعي بل تعتبر ميزة خاصة بالحجاج، وسمة أخرى تتمثل في انبثاقه على سلسلة من الحجج المترتبة بصفة جيدة (مقدم، 2017، الصفحات 631-633).

3-أسس ومنطلقات مقارنة مفهوم الحجاج عند طه عبد الرحمن:

إن منطلق الحجاج عند طه عبد الرحمن هو لتحديث القراءة لتتماشى مع الزمان الذي وجدنا فيه، فإن لكل عصر حدائته وقراءته وبالتالي يجب تجديد القراءة للعصر، وهي سنة الله في خلقه وإلا لما بعث الله لكل عصر نبيا، كان يكفيننا نبيا واحد وقراءة واحدة، بعث الله لكل عصر نبي لتحديث القراءة للعصر لأجل تجديد المعرفة وتفجير الطاقة المعرفية، ومن أجل تجديد مفهوم اللغة، وتجديد مفهوم الحضارة حتى تصبح الحضارة مربوطة بالإسلام ومدركة به كهوية متميزة ولا تشرذ عنه.

ومن مستجدات العصر الحالي الحدائثة الغربية، فيجب وضع قراءة إسلامية لهذه الحدائثة الغربية حسب طه عبد الرحمن. فكيف نشارك في الحدائثة العالمية كعرب ومسلمين وفي نفس الوقت نحافظ على هويتنا فنبقى رغم حدائتنا متميزين بهويتنا العربية الإسلامية؟

وهنا يأتي الدور الذي ينبغي على الحجاج أن يلعبه كآلية لتجديد القراءة قراءة العصر ودفع الحجة بالحجة والدليل بالدليل، والإتيان بما هو أفضل وما يفوق الحدائثة الغربية قيمة إجابة على منتجات الحدائثة وأسئلتها وقراءتها قراءة إسلامية إرضاء للعقل الإسلامي عن طريق الاعتراض على المفاهيم والأفكار حتى تثبت بالعقل الصريح وادعاء أفكار ومفاهيم أخرى ننشئها عقليا ومنطقيا وهذين الفعلين أي الاعتراض والادعاء من صميم فعل الحجاج وأساليبه، فنحن لا نستطيع أن نجابه فكريا ونخوض غمار الحدائثة دون أن نعترض على دعاوى الغير وننشأ ادعاءاتنا الخاصة.

يرى طه عبد الرحمن أنه لا مجال لإنكار ما يكابده المجتمع المسلم من التحديات المعنوية مقدار ما يكابده من التحديات المادية، معتبرا أن ما يتصدر هذه التحديات المعنوية هو هذا التيه الفكري المتمثل في فتنة مفهومية كبرى يفتقد المسلم فيها إلى كيفية الخروج منها، إذ يتخبط في مغاليق ومناهات كثيرة متكاثره من المفاهيم التي تنتجها المجتمعات الأخرى بحيث لا طاقة له على استيعابها ولا على صرفها ضمن غياب آليات إبداع مفاهيمه الخاصة أو إعادة إبداع مفاهيم غيره (عبد الرحمن ط، 2006، صفحة 11).

إذن، وجب على المجتمع الإسلامي، حسب طه عبد الرحمن، وضع آليات إبداع مفاهيمه الخاصة لمواجهة أسئلة الحداثة المتدفقة كنه منهمر تؤدي إلى الإغراق الفكري والمفاهيمي كما تؤدي إلى الاستتباع وعدم القدرة على المواجهة.

المسلم إذا قدره أنه فيلسوف في المواجهة الفكرية لكي يجابه الحداثة ويسايرها بقراءة محدثة محينة وينظرها بما هو مكافئ لإبداعاتها المفاهيمية أو يتفوق عليها ويجب عن أسئلتها وتحدياتها ثم يأتي بخير منها وأفضل منها، باعتبار أن الحداثيين لغة هم الذين يتولون مسؤولية وقتهم، هم حديثو العصر، حيث يشير الجندر الذي اشتق منه المصطلح "حدث" إلى مفهوم الإثبات في الوقت والحدث كظاهرة جديدة، ومن هنا جاء معنى "الجديد" الذي يعطى لمصطلح الحديث (حديث عكس قديم)، ومن هنا ينتج هذا المعنى: أن تكون حديثا حقا هو أن تقود هذا الوقت الجديد وأن تخلق إثباتا له (Hallaq, 2019, p. 78) الحداثة تتمثل في قيام أي أمة لتحمل واجب الوفاء بالتزامات العصر بما يجعلها تتحمل مسؤولية عصرها من دون غيرها، وتقع على عاتقها مسؤولية تحمل هذه الالتزامات لغرض التحقيق الكامل للإنسانية باختصار أمة تتولى واجباتها العمرية (الرحمن، 2007، صفحة 20).

لكن كيف نواجه أسئلة الحداثة وتحدياتها الفكرية والمفاهيمية حجاجيا؟

يجيب طه عبد الرحمن عن هذا التساؤل كالاتي:

أولا: بتشغيل آليات إبداع مفاهيمنا الخاصة عن طريق الحجاج بأن نأتي بما يضاهاى أقوال الغرب ومفاهيمه والتفوق عليه، تفوقا في إبداع الحجج بأشكال مختلفة، وداخل صور لا حصر لها.
ثانيا: أن نأتي بما نستشكله نحن من مفاهيم باعتبار أننا مفكرون أحرار، لنا مقوماتنا من واقعنا وكيونتنا وتراثنا وهويتنا (أرحيله، 2013، صفحة 22).

يقول طه عبد الرحمن: "وقد كررت في كتيبي القول بأن الحداثة ليست هي تقليد الغير في قوله وفعله، وإنما الإتيان بما يضاهاى ما عند الغير، إنتاجا وإبداعا، وأظن أنني سعت في كتيبي المختلفة إلى أن أكون حداثيا بهذا المعنى، حيث إنني اجتهدت في الكشف عن أسباب الفعل المبدع، بل إن مشروعى كله يدور على هذا الغرض، الذي أعبر عنه بقولي، وهو إقدار العربي على التفلسف" (الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، 2011، صفحة 45).

وبما أن الحداثة عند طه عبد الرحمن تعني الإبداع أي تحصيل وكسب وحياسة القدرة على إبداع المفاهيم من داخل هويتنا الثقافية المتميزة فإنه لا سبيل إلى هذه الغاية إلا بتأسيس فلسفة عربية إسلامية متميزة عن الفلسفة الغربية، ومن أجل ذلك جعل طه عبد الرحمن الحجاج المتضمن لدور الادعاء والاعتراض كوسيلة لخدمة مشروعه الكبير والمعلن في تعريب الفلسفة وجعل الفلسفة تتحدث باللسان العربي وتحرير القول الفلسفي من التبعية للسان الغير وأفكار الغير.

الحجاج عند طه عبد الرحمن الأسس والمنطلقات.

جعل طه عبد الرحمن مفهوم الحجاج يؤدي دور الكتابة الفلسفية العربية أي الادعاء الفلسفي كما يؤدي دور النقد والاعتراض أي الاعتراض الفلسفي على الحدائث الغربية، الاعتراض هو مواجهة الحجّة بالحجة لهذا نجدّه يعطي عدة مفاهيم أو كثيرة متكاثرة من المفاهيم لمفهوم واحد هو الحجاج على حسب الوظيفة التي يؤديها أو المهمة التي يتصدى لها في خضم المقارعة والتفاعل مع الغير. أولاً: في مقام الاعتراض ودفع الحجّة بالحجة يكون الحجاج حسب طه عبد الرحمن: "هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها" (عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، 2006، صفحة 226).

ثانياً: أما في مقام إقدار العربي على الكتابة والتفلسف وادعاء وإبداع مفاهيمه الخاصة به يكون الحجاج حسب طه عبد الرحمن، فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب اختبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية إنشائية موجهة بقدر الحاجة (الرحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 2000، صفحة 65).

يطلع الحجاج هنا بمهمة تجديد المعارف وتجديد اللغة وتجديد قراءتنا للعصر وتفجير الطاقة المعرفية بحسب الزمان الذي نعيش فيه، أو يتولى الحجاج في هذا المقام مواجهة أسئلة الحدائث بتحيين المعارف حسب الظروف وحسب التوجهات، ويواصل طه عبد الرحمن شرح مفهوم الحجاج فيقول: "وهو أيضاً جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة كأن تبني الانتقالات فيه، لا على صور القضايا وحدها كما شأن صور البرهان، بل هذه الصور أي صور القضايا مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع (غير مجردة من المضمون، معرفة عملية وليست تجريدية) وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج، وأن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها (الاعتماد على الإشارة) تعويلاً على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتاً أو إنكاراً كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم، وكأن يعتمد فيها على صور استدلالية تأخذ بمبدأ التفاضل والتراتب وتجنح أحياناً إلى التناقض الذي تحس فيه خروجاً عن حدود المعقول (الرحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 2000، صفحة 65).

إذاً فآلية الحجاج الإنتاجية هنا التي يعول عليها في إنتاج الأطارح الخاصة بالمجال التداولي العربي الإسلامي، هي قدرته على تحريك الجانب الإشاري من الكلام الذي يطوى عالم اللغة وإمكاناتها التخيلية كلها إذ لا دلالة بلا تداولية والتداولية مأخوذة من مفهوم الجماعة والاجتماعية أي اجتماعية المعرفة، ذلك أنه مهما عملنا وتوسلنا (من الوسيلة) فإن المعرفة لا تنتج وتثمر إلا في المجتمع الذي أنتجت فيه.

ثالثاً: مقام التواصل مع الغير والاحتكاك الفكري به، يكون الحجاج هنا تفاعلاً يقول طه عبد الرحمن: "كلما وقفنا على لفظ الحجاج تسارعت إلى الأذهان دلالاته على معنى التفاعل حتى إن ما سواه من مظاهر التفاعل، إن تبادلاً للتأثير أو تناقلاً للتغيير أو ترابطاً وظيفياً أو حتى تجاوباً وجدانياً، تبدو لنا موضوعاً على قوانينه ومفهوماً على مقتضاه، أو قل إن الحجاج أصل في كل تفاعل، كائننا ما كان" (عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 2006، صفحة 229).

إذاً فالحجاج في مقام التواصل مع الغير أو الآخر والاحتكاك معه هو التفاعل والمفاعلة حسب طه عبد الرحمن، ولذا وجب توسيع الاستدلال المنطقي ليشمل نواحي حياتية فكرية حوارية لم يكن من الممكن مسaire تمفصلاتها وكذا تمظهراتها وتعقيداتها الإنسانية الوجودية بمنطق برهاني علمي آلي صناعي إلا بمنطق مرن طبيعي يستخدم اللغة الطبيعية، هو المنطق الحجاجي الذي يتكيف مع أسلوب المحاوراة والمناقشة والتواصل الفكري والنقاشات والتحليلات، منطلق الفعل والتفاعل والتأثير والتأثر الذي تحس أنك جزءاً منه وليس منفصلاً عنك، ولهذا فهو يحفز على الفعل وعلى الإنهاض للفعل، يستخدم طه عبد الرحمن الحجاج نظراً لطابعه التوسيعي فهو ينشد توسيع الاستدلال وعدم حصره في آلية صناعية ضيقة كالبرهان المنطقي فالحجاج من حج الذي يفيد معنى القصد كما يفيد معنى الاستدلال في اللسان العربي كما وضحننا ذلك سابقاً ولذا فإن طابع الحجاج التوسيعي يساعد في توسيع الاستدلال والإبداع الفلسفي للمفاهيم على عكس البرهان.

إذاً فلا مخرج من مغاليق الإنسان العربي وتمه في فتنة مفهومية كبرى يعيشها نتيجة عجزه عن إنتاج مفاهيمه الخاصة به لمواجهة المفاهيم الحداثية الغربية إلا بالاعتماد على الآلة، آتته التي تنتج المفاهيم والأطاريح المأبولة أو المنحولة الخاصة به، ألا وهي الحجاجية التداولية، إذ لا دلالة بلا تداولية وكذا ممارسة فعل التأصيل والتجذير للمفاهيم بإعادة الوصل مع التراث العربي الإسلامي التأصيل والتجذير والتأثيل للمفاهيم الذي هو ليس أكثر من الوصل بالأصل وعدم الانقطاع والشروء عنه، يقول أبو الهلال العسكري الحجة هي "الاستقامة في النظر والمضي فيه على سَنَنِ مستقيم من رد الفرع إلى الأصل وهي مأخوذة من المحجة وهي الطريق المستقيم" (العسكري، دت، صفحة 70).

وقد نحا طه عبد الرحمن في منهجه الإبداعي والفكري منحنى التداولية الحجاجية وعلى المنهج التداولي عامة وفرعها التقريب التداولي. يقول طه عبد الرحمن في هذا الصدد "وقد استفدنا بدورنا من الجانب التداولي في الدرس الفلسفي والكلامي، وساهمنا في وضع قواعد تداولية لهذا الخطاب الفكري، وخرجنا فيه بنتائج بلغت من التخصيص والتدقيق درجة لا يمكن أن يؤدي إليها المنهج التاريخي الذي غلب على الدرس التراثي الإسلامي العربي وما أثبتناه من مبادئ المنطق الكلامي ومن

الحجاج عند طه عبد الرحمن الأسس والمنطلقات.

قوانين المعاقلة شاهد كاف على هذا الضبط والتحقيق في تناول هذا التراث" (الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، 2011، صفحة 78).

وحتى تشتغل هذه التداولية الحجاجية يجب على الفلسفة العربية أن تتقل من التفكير بواسطة اللغة إلى التفكير في اللغة في حد ذاتها أي التفكير من داخل اللغة العربية وليس من خارجها أي التفكير من داخل المجال التداولي العربي وليس خارجه، وبالتالي لا أمل لأي إبداع من خارج المنظومة اللغوية التي ينتمي إليها المتفلسف يقول طه عبد الرحمن "على الفيلسوف، قبل أن يتجه باجتهاده إلى التوعية بقدرة لغته الفكرية أن يميز لغته عما ليس من لغته، أو يتعارض ولغته عما هو لغو. ولغونا يظهر في التشويه الذي لحق أصول لغتنا وبنائها وكبت فلسفتها... وعلى الفيلسوف العربي أن يخلصنا من هذا اللغو الذي حال دون تحررنا العقلي، ودون إبداعنا الفكري، وبهذا تكون رسالة الفيلسوف العربي رسالة لغوية من منطلقها." وبهذا كان مشروع طه عبد الرحمن منذ بدايته هو إزالة العوائق التي أوقفت الإبداع الفلسفي العربي قديما وحديثا وقتلت آلياته الإنتاجية ومنعتها من الاشتغال والعمل والإبداع ألا وهي الترجمة التي أخذت الفيلسوف العربي رهينة لأطرها الفكرية التي يعجز في أغلب الأحيان من استكناه كنهه فحواها وربطها بما يشبهها أو يقارنها في تراثه، مما يوقعه في قطيعة تداولية تصده عن التفاعل مع محيطه القريب والبعيد بسبب عجزه عن الإبداع الحقيقي الذي قوامه اللغة والتداول في نهاية المطاف.

4-خاتمة:

اتخذ طه عبد الرحمن من الحجاج الذي يكون طابعه تداوليا وسيلة ومنهج لإعادة قراءة التراث والوصل معه في مقابل من كان ينادي بالقطع معه كشرط للدخول إلى الحداثة ولكي نكون حديثين بمعنى الكلمة.

لا يمكننا فهم الحجاج عند طه عبد الرحمن إلا في ضوء مشروعه الفلسفي الشامل كمشروع فكري مرتكز على إعادة قراءة التراث بمنهجية وآلية حجاجية تداولية مناسبة لمقاربة التراث العربي الإسلامي لارتباط المعرفة بآليات إنتاجها كنوع من إثبات وإبراز معقولية التراث العربي والإسلامي والرد على دعوى القطيعة مع التراث كشرط لدخول الحداثة بحجة عقمه وعدم معقوليته وإثبات أن المعرفة التراثية مرتبطة بآليات إنتاجها ارتباطا عضويا وهي آليات يغلب عليها الطابع العملي وليس الطابع النظري الذي يغلب على التراث المعرفي الغربي، وهذه الدعوى التي ظهرت، كانت بسبب فشل الفكر الإسلامي المعاصر في قراءة التراث واستيعابه كنتيجة لافتقاره إلى منهجية مناسبة وبنية فكرية مستقلة، وهذا بدوره عائد كنتيجة للقبول غير الناقد للآليات الفكرية للحداثة الغربية بحذافيرها دون محاجتها وكذا مساءلتها وفحصها بمنهج فكري مستقل وبنية فكرية مستقلة (أمكور، 2021، صفحة 4).

تشعب البحث في الخطاب الحجاجي عند طه عبد الرحمن وتشعب الحديث حوله، لكن في مجمل القول يمكننا أن نقول إنه ما دام الخطاب الفلسفي خطابا طبيعيا فمن البديهي أن يميل البحث إلى منهج الاستدلال الطبيعي الحجاجي. إن حقيقة الاستدلال في الخطاب هو أن يكون حجاجيا لا برهانيا، وبالتالي فقد تجاوز طه عبد الرحمن البرهان الصناعي وسعى إلى تأصيل خطاب تداولي طبيعي، فاستثمر ما يزره التراث الإسلامي من أساليب البحث في آليات الخطاب وطرق التدليل المتنوعة، هذا المنهج الاستدلالي الطبيعي الذي يعتمد على الحجاج القائم على التداولية والمنهج التداولي، جعل منه يصب في مجال دراسة البنية الاستدلالية للنص التراثي فاستثمره بالتالي في مشروعه المعلن ألا وهو إعادة قراءة التراث بمنهج حجاجي تداولي (الحمري، 2018، صفحة 125).

نجد أن طه عبد الرحمن وظف الحجاج في إعادة قراءة التراث العربي والإسلامي قراءة حجاجية تداولية تثبت معقوليته قصد محاولة إحيائه وبعثه والوصل معه وصلا بالأصل والهوية المتميزة والفريدة التي لا تذوب وسط الثقافات والحضارات والحداثات، كما أنه استعمل الحجاج في الرد على الحدائث والإجابة على أسئلتها، وأخيرا توج الحجاج باطلاعه لمهمة إحياء فلسفة عربية إسلامية وإقدار العربي على التفلسف الذي لا يمكن أن يتحقق إلا من داخل لغته العربية، وهذه النظرة الفلسفية لطه عبد الرحمن ترجع إلى تأثره بالمنعطف اللغوي الذي حدث في الفلسفة المعاصرة ويتمثل هذا المنعطف في الانتقال من التفكير بواسطة اللغة إلى التفكير في اللغة في حد ذاتها باعتبار أن اللغة تستعيد الواقع وتبني العالم عالمنا الذي نعيشه.

**

5- المصادر والمراجع:

1- المصادر.

- ابن فارس. (1979). *مقاييس اللغة*. القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر.
- ابن منظور. (1999). *لسان العرب* (الإصدار 3، المجلد 2). بيروت: دار احياء التراث العربي.
- أبو الهلال العسكري. (د.ت). *الفروق اللغوية*. القاهرة: دار الثقافة والعلم.
- طه عبد الرحمن. (2000). *أصول الحوار وتجديد علم الكلام* (الإصدار 2). المغرب: المركز الثقافي العربي.
- طه عبد الرحمن. (2006). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي* (الإصدار 2). المغرب: المركز الثقافي العربي.
- طه عبد الرحمن. (2007). *الحدائث والمقاومة* (الإصدار 1). لبنان: معهد المعارف الحكمية.
- طه عبد الرحمن. (2011). *حوارات من أجل المستقبل* (الإصدار 1). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- طه عبد الرحمن. (2011). *حوارات من أجل المستقبل* (الإصدار 1). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- طه عبد الرحمن (2006). *روح الحدائث، المدخل إلى تأسيس الحدائث الإسلامية*. بيروت: بمركز الثقافي العربي.

الحجاج عند طه عبد الرحمن الأسس والمنطلقات.

عباس أرحيله. (2013). *فيلسوف في المواجهة* (الإصدار 1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2015). *الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية* (الإصدار 1). المملكة السعودية: الانتشار العربي للنشر.

غازي بن محمد إدريس. (2012). *القول الأصولي المالكي ومناهج الحجاج*. فاس، المغرب: الرابطة المحمدية للعلماء.

2- المقالات.

فاطمة مقدم. (ديسمبر، 2017). الحجاج الفلسفي صورته المناظرة الإسلامية. *مجلة المدونة*.

عثمان أمكور. (2021). *إصلاح الحدائث الأخلاق والإنسان الجديد في فلسفة طه عبد الرحمن*. الكويت: حوار مركز نهوض للدراسات والبحوث مع المفكر وائل حلاق.

بدر الحمري. (2018). *بلاغة الحجاج في الخطاب النقدي الأخلاقي عند طه عبد الرحمن*. بيروت: مجلة الكلمة.

Hallaq, W. B. (2019). *Reforming modernity*. New york: columbia university press.